الفصـــــل الأول

الزعامة السياسية : المفهوم وبعض القضـايا النظرية ٠

تمهيـــــد ٠

المبحث الأول : المعنى والتنـــاول متعـدد الأبعـاد ٠

المبحث الثانى : الزعامة السياسية بين النظم الديموقراطية الحزبيـة والنظم الأوتوقراطية الشمولية ٠

المبحث الثالث : الزعامة السياسية وظـاهرة الثـورة ٠

المبحث الرابع : الزعامة السياسية ونظـــرية الصـفوة ٠
مناقشة عـامة وتصور منهجى ٠

تمهيـــــد

قد لا نغـــالى كثيرا اذا ما أكدنا أنه على الرغم من التراكمات النظرية الاكاديمية والاســهامات الفكرية التى حظيت ظاهـــرة الزعامة السياسية Political Leadership باهتماماتها ، سعيا وراء فهم علمى للظـاهرة من حيث أبعادها وديناميياتها ، الا أن هذه الوفرة النظرية التى أسهم فى تقديمها علم السياسة ، والاجتماع والتاريخ ، فضلا عن علم الاجتماع السياسى قـد خلقت لدينا ـ نحن البـــاحثون فى ديناميات الزعامة السياسية المصرية ـ (أزمة انتقاء) ، بمعنى بأى من هذه الاسهامات النظرية سوف نستعين ؟ ، وبأى بعد من أبعاد هـــذا التراث سوف يتحدد اطارنا ؟ ، وبأى اتجاه مـن اتجاهات تفسير ظاهرة الزعامة السياسية سوف نلتزم ؟ ٠

والمؤلف الراهن بحكم اهتماماته لا يعنى بحركة الرصد النظرى لظاهرة الزعامة السياسية فما نود أن نكون مرددين ، محاكين لغيرنا ، ومؤلفات التراث من الوفرة بحيث تأتى أى محاولة راصدة وكأنها تزيد لا ضرورة له ، ومـن هنا ـ ومن خلال هذا الفصل ـ نود أن يكون لنـا موقف نظرى ، وهو موقف تحدده طبيعة هذ المؤلف وأهدافه الأساسية ٠

ويتحدد موقفنا النظرى من تراث نظريات الزعامة السياسية من خلال محورى الانتقاء والاختبار ٠ فأما عند الانتقاء فنعنى به تلك القضايا النظرية الخلافية والمرتبطة بظاهرة الزعامة السياسية ، وأما الاختبار فهو محـاولة اخضاع تلك القضايا الخلافية للاختبار الميدانى ببعديه التاريخى واللحظى ٠

وقد يتصور البعض أن الانتقـــاء والاختبار لا يمكن النظـــر اليهما باعتبارهما (موقفا نظريا) ، بل همـــا يعدان مظهرين من مظـاهر التمييع النظرى أو الهروب الفكرى ، الأمر الذى تصبح معه عمليتا الانتقاء والاختبار بمثابة قناع للتخفى الفكرى أو النظرى !

ولكن الأمر على خلاف ما يعتقد البعض ، فالانتقاء والاختيار يمكن النظر اليهما ـ فيما أتصور ـ باعتبارهما (خطوة) نحو تاسيس بناء نظرى متكامل لظاهرة الزعامة السياسية المصرية ، قد تعقبها خطوات أخرى من التفنيد والمراجعة واعادة البحث والتقصى ، الأمر الذى يمكننا معه أن نعلن ولاءنا الفكرى أو النظرى ، وهو انتماء نابع ليس من التفسيرات النظرية الجاهزة أو من الاطر الفكرية المعدة سلفا ، ولكن من خلال ما تعكسه معطيات تاريخنا وما تفرزه سمات الواقع الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للمجتمع اتساقا مع (بعض) مقولات الفكر السياسى والاجتماعى ٠

ويتحدد انتقاؤنا لقضايا التراث النظرى لظاهرة الزعامة السياسية من خلال المحاور الآتية والاعتبارات الآتية :

١ ـ ان ظاهرة الزعامة السياسية لم يقتصر الاهتمام بها على علم السياسة فقط ، بل شارك فى الاسهام فى دراستها التاريخ وعلم الاجتماع العام ، فضلا عن علم الاجتماع السياسى ، فهى تعد من الظواهر متعددة التناول ٠

٢ ـ أضحت قضية العلاقة بين صيغة الحكم وانبثاق الزعامة السياسية من بين القضايا الخلافية فى علم السياسة وعلم الاجتماع السياسى ، بمعنى أن محاور الخلاف قد دارت حول أنسب النظم السياسية وأكثر صيغ الحكم ملاءمة لتفريخ الزعامات السياسية وانبثاقها ، لا سيما عند المقارنة بين النظم الديموقراطية الحزبية والصيغ الديكتاتورية الشمولية ٠

٣ ـ حاول بعض المتخصصين فى علم السياسة وعلم الاجتماع السياسى فضلا عن المؤرخين النظر الى الثورة The Revolution باعتبارها ظاهرة سياسية اجتماعية تعمل على خلق الزعامات السياسية وان نظر الماركسيون الى الزعامة السياسية التى تتخلق من خلال الثورة باعتبارها تعبيرا عن انتماء طبقى بعينه ، فالزعامة هنا ـ على نحو ما يرى الماركسيون ـ زعامة طبقية ، وسيطرة طبقة على عدة طبقات أخرى ، وهى تعبير عن ديناميات طبقة بعينها ٠

٤ ـ نالت نظرية الصفوة أو الصفوات The Elites باعتبارها نظرية مرتبطة ببعض قضايا أخرى كالقوة Power والتأثير influence

والسلطة Authority اهتماما خاصـــة من الباحثين فى ظاهـــرة الزعامة السياسية ، على اعتبـــار أن الزعامات السياسية تعد شكلا من أشـــكال الصفوات ، فاذا كانت الزعامة السياسية صـفوة ، فالى أى نمط من أنمـاط الصفوة تنتمى هذه الزعـامة ؟ هـــل تنتمى الى الصفوة العسكرية ، أم الى الصفوة الدينية ، أم انها ذات صلة بالصفوة المثقفة ، أو الصفوة السياسية أم الاقتصادية ؟

فهذا الفصل يبحث اذن فى ثلاث محاور أساسية هى الزعامة وصـيغ الحكم ، والزعامة فى علاقتها بظاهرة الثورة ، ثم الزعامة ونظرية الصفوة • ولا شك أن طرحنا لهذه القضايا وانتقاءنا لها ، يعد تمهيدا طبيعيا لاختبارها تاريخيا وآنيا فى ضوء أبعادالزعامة السياسية المصرية وديناميياتها فى ماضى مصر وحاضرها •

المبحث الأول

الزعامة السياسية : المعنى والتناول متعدد الأبعاد

أولا : الزعامة السياسية بين مفهومى القوة والسلطة ·

ثانيا : الزعامة السياسية وعلوم الانسان والمجتمع ·

أولا : الزعامة السياسية بين مفهومى القوة والسلطة

(١)

ينزع بعض المهتمين بظاهرة الزعامة السياسية نحو التأكيد على الارتباط العضوى بين تلك الظاهرة وظاهرتى القوة والسلطة فى المجتمع الى الدرجة التى يذهب فيه غالبية هؤلاء الى النظر الى ظاهرة الزعامة أو القيادة باعتبارها ممارسة للقوة أو التأثير Influence داخل التجمعات الاجتماعية كالجماعات والتنظيمات والمجتمعات المحلية والأمم(١) ٠

وممارسة القوة أو التأثير يعد أحد الأسس التى أقام عليها ماكس فيبر Weber تعريفه لمفهوم القيادة ، وهو الأمر الذى يؤكده Dornbusch فى مؤلفه الموسوم (تقويم السلطة وممارستها) Evalution and the Exercise of Authority فى نطاق عرضه للاسهامات الكلاسيكية التى تناولت مفهوم القوة Power حيث يشير الى أن تعريف فيبر لاصطلاح القيادة أو الزعامة قد انعكست تأثيراته على غالبية الاسهامات التى قدمها العلماء الاجتماعيون الذين عاصروه والذين حاولوا بعده أن يخضعوا مفهوم الزعامة فى علاقته بالقوة للتحليل والتفسير(٢) ٠

والقوة كما يعنيها فيبر Weber تتحدد من خلال ما يمكن أن تمارسه الصيغة البنائية لأى نظام شرعى من تأثيرات على توزيع القوة داخل المجتمع، والقوة بهذه الرؤية تعنى الفرصة التى تمنح للفرد أو لعدد من الأفراد لكى يفرضوا ارادتهم على الآخرين بصورة متوازية ضد مظاهر المقاومة التى قد

---

(١) Stannebuim Anold, Leadership (Sociological Aspects) International Encyclopedia of Social Seince edited by Sills, David, Macmillan Company and Free Press, Vol. 9, 19, P. 101.

(٢) Dornbusch, Sanford, M., Evaluation of the Exercise of Autharity, Jossey-Bass, 1975, P. 31.

يبديها الآخرون المشاركون فى نفس الفعل(١) ٠

فالفرد هنا ـ صاحب القوة ـ يكون فى وضع ـ على نحـــو ما يذهب فيبر ـ يسمح له بتنفيذ ارادته ضد مقاومة الآخرين ، وذلك بصرف النظر عن الأساس الذى تنهض وفقا له قوة هذا الفرد(٢) ٠

أما دال Dahl فيميل فى تعريفه للقوة ميلا آخر ، معتمدا على ما يمكن تسميته بالموقف الشخصى الداخلى Interpersonal Situation حيث يتصور أن القوة التى يملكها (أ) ويمارسها على (ب) ، تتيح للأول (أ) أن يدفـع الثانى (ب) لأن يفعل شيئا لا يود ـ أى ب ـ أن يفعله(٣) ٠

وفى تحديد دال هذا لمفهوم القوة يكشف عن تصور يرى فى القوة الزاماً Obligation واجباراً ، وسلباً لارادة الآخـرين ، فهى أقـرب ما تكون الى التأثير السحرى حيث يشـعر ازاءه الآخر بالقهر Coercion والامتثـال Conformity اللاارادى ٠

(٢)

ويسـير فى ذات الاتجـاه اميرسون Emerson حيث يركز أيضا على البعد الذاتى للقوة متصورا أن القوة التى يتمتع بها (أ) على (ب) هى نتاج لكم المقاومة التى يبديها (ب) والتى عادة ما ينجح (أ) فى القضاء عليهـا ٠ وتعريف اميرسون للقوة على نحو ما يرى Dornbusch قـد يتشـابه الى حـد كبـير مع ذلك التعريف الذى قـدمه كل من تيبـوت Thibaut وكيلى Kelley عـام ١٩٥٩ لمفهوم القـوة حيث نظـرا اليهـا على أسـاس أن القوة

---

(١) Gerth, H. H., and Mills, C. Wright, From Max Weber; Essays In Sociology, A Galaxy Books, New York, 1958, P. 180.

(٢) Dornbusch, Op. cit., P. 31.

(٣) انظر عددا من تعريفات مفهوم القوة فى : نبيل السمالوطى ، بناء القوة والتنمية السياسية : دراسة فى علم الاجتماع السياسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٨ ، صرص ٣١ ـ ١٥٠ ٠

وانظر أيضا اسماعيل على سعد ، نظرية القوة : مبحث فى علم الاجتماع السياسى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٨ ٠

التى يمتلكها (أ) ويمارسها على (ب) تتوقف على مدى اعتمادية (ب) على (أ) (١) ٠

من المؤكد أن المحاولات السابقة بدءا بفيبر وانتهاء بتيبوت وكيلى تنظر الى الفرد ـ دون غيره ـ عند البحث عن ماهية القوة ، وهو ما يؤكد ما أشار اليه Dornbusch من أن غالبية الاسهامات السابقة تعنى بالقوة باعتبارها سمة تميز الفرد دون الاهتمام بتحديد ماهية الفرد أو الأفراد الذين تمارس عليهم تلك القوة ٠

ويلاحظ Dorbusch أيضا أن كلا من فيبر ودال واميرسون قد توصلوا الى نتيجة كادوا أن يجمعوا عليها ٠ وهى أن الأسس التى تنهض وفقا لها القوة تتنوع بل وتختلف من موقف الى آخر ، وأن نتائج ممارسة القوة تكشف عن انبثاق عدد من المتغيرات تترتب على تلك الممارسة(٢) ٠

ولا شك انه على الرغم من تاكيد كل من فيبر ودال واميرسون على اختلاف مقومات القوة واسسها طبقا للنوعية المتميزة لكل موقف ، الا أن اسهاماتهم قد دارت فى فلك السمات الخاصة ، أو فى ضوء القوة فى أبعادها الذاتية ٠

فالرؤية السابقة تنظر الى القوة فى ضوء بعدى القهر (كممثل للقوة) والخضوع كحالة فقدان لمقومات القوة ٠ فبين القهر والخضوع تتكشف السمات الذاتية لكل من مالك القوة باعتبارها مقومات ايجابية Positive ، وغير المالك لها باعتبارها خصائص سلبية Negative ، وهو الأمر الذى يتيح لمالك القوة التأثير ومن ثم ممارسة الضبط والتوجيه والسيطرة على الأفراد الذين يقعون فى دائرة الخضوع ٠ فهل يعنى ذلك أن فيبر ومن تأثر به يمكن اعتبارهم من أصحاب (التفسير الذاتى) للقوة ؟

(٣)

فالواقع اننا لا نستطيع أن نؤكد ذلك تماما ، لاسيما بالنسبة لماكس

---

(١) انظر مجموعه التعريفات السابقة فى : Dornbusch, Ibid, P. 31.

(٢) Ibid, P. 32.

فيبر على الأقل ، حيث يمكننا أن نتشكك فى سيادة التفسير الذاتى للقوة لديه ، خاصة اذا ما وضعنا فى الاعتبار اشاراته المتنوعة الى الأبعاد الاقتصادية Economic Dimensions فى توزيع القوة • ولكن من المؤكد أيضا أن فيبر لم يتجاهل الأبعاد الذاتية فى توزيع القوة ، ولم ينكر فى الآن نفسه الأبعاد المادية الاقتصادية رغم أنه لم يعتمد عليها تماما فى تفسير ظاهرة القوة بدليل اشاراته الى الظروف الاقتصادية باعتبارها غير متماثلة تماما مع القوة بوجه عام ، حيث يمكن أن يكون ظهور القوة الاقتصادية ـ على نحو ما يذهب فيبر ـ نتاجا لنوعية أخرى من الأسس أو المقومات التى تنهض وفقا لها القوة بوجه عام(١) •

ودليلنا على عدم انكار فيبر للأبعاد الموضوعية ـ الاقتصادية هو ما تردد كثيرا فى نظريته الاجتماعية العامة والتى فسر من خلالها نشأة السلطة Authority (رغم عدم انكاره للأبعاد الذاتية كما سيتضح فيما بعد) ونشأة الأحزاب السياسية Political Parties ، فضلا عن اشاراته المتعددة للبعد الاقتصادى والموقف السوق فى تحديد الموقف الطبقى Determination of Class - Situation by market ، حيث يشير الى عدد من الأبعاد التى تحدد مفهوم الطبقة كما يتصورها ، حيث يرى أن من بين مقومات نشأة الطبقة الاجتماعية بعد المصالح الاقتصادية Economic Interests التى يتضح فيما يملكه الفرد من جهة وفرص حصوله على الدخل من جهة أخرى(٢) •

فمن العسير اذن أن ننظر الى فيبر باعتباره من أصحاب الرؤية الذاتية الخالصة فى تفسير ظاهرة القوة ، ولا يمكن أيضا أن نتعامل معه باعتباره من غلاة المؤيدين للنزعة الاقتصادية فى تفسير القوة ، ففيبر اذن يمكن النظر اليه باعتباره من أصحاب (الرؤية الثنائية) فى تفسير ظاهرة القوة ، وليس من أصحاب (الرؤية الاحادية) ، وهى الرؤية التى يمكن ارجاعها الى الماركسيين الكلاسيكيين الذين يمثلون المدخل الاقتصادى أو المادى فى تفسير ظاهرة القوة •

---

(١) Gerth and Mills, From Max Weber, Essays In Sociology, P. 180.

(٢) Ibid, P. 181.

وتتعدد التعريفات وتتنوع مداخل دراسة القوة(١) منـــذ فيبر صاحب الرؤية الثنائية حتى السير رايت ميلز Mills الذى حاول أن يقدم تحليلا لظاهرة القوة فى ضوء طبيعة المجتمع العام ككل ومن خلال تصوره عن القوة باعتبارها ممارسة من قبل جماعة صغيرة نسبيا تتسم بالقدرة على التأثير على الآخرين ولقد حـــدد ميلز مجالات التأثير هذه فى : الصناعة والحكومة والجيش وهى ما أسماها ميلز بصفوة القوة The Power Elite ، وهى التضـــية التى سوف نعرض لها باختصار عند الحديث عن العلاقة بين الزعامة السياسـية والصفوة(٢) • فمنذ فيبر ثم ميلز ومن جاء بعـدهما كبيتـر بلاو Blau وأتزيونى Etzioni وبوتومور Bottomere من أصحاب الرافد الغربى ، كذلك ماركس والمـاركسيون التقليدون والمحدثون ، لم نلحظ جديدا يمكن أن يضاف الى ما أسهم به الرواد الأوائل فى مجال القوة(٣) •

(٤)

ولمـا كان هذا العرض النظرى ليس محض ترديد للتراث ، بل هو بمثابة تمهيد لدراسة الزعامة السياسية المصرية فى ماضيها وحاضرها ، فان ما يهمنا من مجموعة المفاهيم المرتبطة بظاهرة الزعامة هو فيما يمكن أن تسهم به هذه المفهومات من تقديم فهم أعمق وأشمل لظاهرة الزعامة السياسية المصرية •

وهنا نتساءل هل يمكن أن نعتبر الزعامة السياسية شـكلا من أشكال القوة ؟ وان كانت كذلك فالى نمط من أنماط القوة تنتمى الزعامة السياسية ، هل هى القوة الاقتصادية كما يدعى الماركسيون ؟ أم هى قوة يمكن ارجاعها الى قدرات خاصة تميز جماعات معينة (الصفوة) وتمكنهم من السيطرة على

---

(١) ارجع الى نبيل السمالوطى ، مرجع سابق ، ص‌ص ٧٥ ــ ٧٨ ، حيث يشير الى أربعة مداخل لدراسة القوة هى : المدخل الاقتصادى أو المـادى ، مدخل المنصب ، مدخل اتخاذ القرار ، والمدخل الذاتى أو مدخل السمعة • كذلك انظر : فاروق يوسف أحمد ، القوة السياسية : اقتراب واقعى من الظاهرة السياسية ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص‌ص ٩ ــ ٣١ •

(٢) يمكن الرجوع الى تفاصيل نظرية صفوة القوة فى : Mills, C. Wright, The Power Elite, Oxford Univ. Press, 1959.

(٣) يمكن أن نذكر فى هذا دراسة محدودة قدمها ابرامسون وزملاؤه : Abramson, E., etal, Social Power and Commitment : A Theoretical Staterment, American Sociological Review, Fabr., 1958 Vol. 23. No. I.

جماع النشاطات الاجتماعية ، ومن ثم التأثير على الآخرين ، كما يرى كل من موسكا Mosca وميتشلز Michels ، أم أنهـــا قوة لا يمكن أن ترجع أصولها الى مصـــدر بعينه على نحـــو ما يذهب Bierstedt بل تتسم بالتعدد ، حيث تتنوع بين أسباب اقتصادية (كالملكية والدخل) وأخـرى غير اقتصادية كالسلطة السياسية الرسمية ، والسيطرة على وسائل القمـع كالشرطة والجيش والهيمنة على وســائل الاتصـال والمعلومات كالمخابرات والصحافة والاذاعة الى جانب السيطرة على المعارف والفكر والرأى(١) ٠

فمن أى مصدر من مصادر القـــوة تستمد الزعامة السياسية المصرية مقوماتها ؟ هل هـو مصدر اقتصادى ، أم مصـــدر سلطوى رسمى ؟ أم هى مصادر ذاتية تتعلق بسمات مميزة للزعيم وقدرات أو ملكات يتفرد بها ؟ أم أن الزعامة السياسية المصرية تتميز بخصوصية مصادر القوة ، بحيث تتفرد بنوعية خاصة وماهية متميزة للقوة ؟ وهو الأمر الذى سوف تكشف عنـــه دراستنا لنماذج من الزعامات السياسية المصرية فى الماضى والحاضر ٠

وعلاقة الزعامة بالقوة يمكن الكشف عنها من خلال مجموعة من المظاهر يتجلى أولها فيما يمكن أن تلعبه القوة من أدوار ووظائف داخل الجماعة والتى تتحدد أولا فى تعيين مجموعة الاهداف التى تصبو الجماعة الى تحقيقها وثانيا تشييد بناء له معالمه وحدوده وقيمه ومعاييره التى يمكن أن تحقق الاهداف من خلالها ، وثالثا حماية هذا البناء وتدعيمه ، ومن الملاحظ أن غالبية اسهامات علماء الاجتماع يركزون على الوظيفة الأخيرة باعتبارها أكثر المظاهر ارتباطا بظاهرة الزعامة ، ويرى Tannebuim أن بعض علماء الاجتماع ينظرون الى الزعامة أو القيادة باعتبارها القوة التى تضمن للجماعة التماسك والتكامل وأنها القوة التى تدافع عن الجماعة من التهديدات التى يمكن أن تتعرض لها سواء من الداخل أو من الخارج وأن تخفف ـ بقدر الامكان ـ من مظاهر التحلل والصراع ٠

ويرى Tannebuim أن الرؤية المحافظة فى تناول ظاهرة القـوة فى علاقتها بالزعامة أو القيادة قد تكشفت من خلال مجموعة النظريات الكلاسيكية المحافظة التى أولت اهتماما خاصا للقيادة باعتبارها قوة تعمل على الحفـاظ

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى : نبيل السمالوطى ، مرجع سابق ، ص ٧٩ ٠

على الانساق الاجتماعية أكثر من اهتمامها بالقيادة أو الزعامة كقوة يمكن أن تعمل على تغيير المجتمع(١) ٠

ورغم هذه الرؤية المحافظة فى النظر الى القيادة أو الزعامة فى علاقتها بالقوة ودورها فى المجتمع يذهب Tannebium الى أن هناك عددا من الاسهامات تنظر الى القوة أو الى الزعامة كتجسيد للقوة بمنظور أكثر راديكالية ، ومن هذه الاسهامات ذلك الاسهام الذى قدمه كل من هاربسون Harbison وماير Myers فى نطاق مناقشاتهم حول الزعامة ، حيث نظروا الى الزعماء باعتبارهم بناة للتنظيم Organization builders وقادة للتجديد Innovation أكثر من كونهم حفظة للاستقرار أو التكامل(٢) ٠

والزعماء كقوة مجددة أو كقوة للبناء والتغيير وفقا للرؤية غير الكلاسيكية تتكشف أبعادها بصورة أوضح لدى المجتمعات التى أصابت قدرا كبيرا من الرقى والتقدم ، وهى الزعامات التى تتسم بقدرتها على خلق أهداف جديدة للمجتمع وابداع بناءات تتناسب وطبيعة هذه الاهداف ، فضلا عن قدراتهم الخاصة على صياغة طاقم من القيم الاجتماعية الجديدة(٣) ٠

ومن منطلق القوة يعرف Tannebuim الزعيم بأنه شخص متميز Distinguished عن الآخرين فيما يملكه من قوة ، ومكانة ، ورؤية خاصة وفى عدد آخر من سماته الخاصة كالحسم والشجاعة والتكامل والذكاء(٤) ٠

(٥)

ولقد أتخذ مفهوم الزعامة كتعبير عن القوة ، فى القرن العشرين أبعادا حديثة ، حيث أضحت الزعامة كأحد محاور اهتمام الفكر الاجتماعى والسياسى فى هذا القرن تعنى القدرة على حل المشكلات التى تنجم عن سيادة القوى

---

(١) Tannebuim, Arnold, S., Leadership (Sociological Aspects) International Encyclopedia of Social Scienc, P. 101.

(٢) Ibid, P. 102.

(٣)

(٤) Ibid, P. 105.

السياسية فى هذا القرن تعنى القدرة على حل المشكلات التى تنجم عن سيادة القوى السياسية المتطرفة والقاصرة أو العاجزة ، حيث تظهر الزعامة ـ على نحو ما يرى Lester Seligman ـ لمواجهة الحركات الايديولوجية التسلطية كما هو الحال فى الحركات الفاشستية والشيوعية التى ظهرت خلال الأنظمة الصناعية الغربية ، أو لتقديم العلاج للأدواء التى يمكن أن تترتب على سيادة الأنظمة الغربية الديمقراطية التعددية ، والتى تعد ظاهرة اللاحركية أو التوقف Immobilism أحد مظاهرها الباثولوجية ، وهو الأمر الذى يتطلب زعامة تنفيذية قادرة على تحقيق الأهداف القومية ، وهو ما ظهر بجـــلاء فى فرنسا على يد شارل ديجول Charles De Gaulle(١) ٠

ويذهب Seligman الى أن الزعامة كقوة يمكن أيضا أن نتعرف عليها خلال نموذجين سياسيين ، النموذج الأول خاص بالبطل القومى National hero كتجسيد أو كتعبير عن الارادة العامة "General Will" أو المصلحة العليا Higher Interest للأمة ، والذى يعتبر شارل ديجول أحد ممثلى هذا النموذج ٠ أما النموذج الثانى فهو خاص بما أسماه Seligman بالوسيط السياسى Political Broker أو ذو القدرة الفنية على الصياغة التركيبية أو التوليفية لعلاقات المجتمع كما هو الشأن مثلا بالنسبة لفرانكلين روزفلت Roosevelt الذى كان يعتبر أحد الخبراء الاداريين المهرة فى احتواء الاهتمامات والمصالح الخاصة بالشعب الامريكى فضلا عن صفته كاحد بنـــاة الائتلاف السياسى (٢) ٠

ويظهر النموذج الأول كقوة (البطل القومى) عندما يتعرض الاتفـــاق القومى للحرج ، بينما تظهر قوة النموذج الثانى (الوسيط السياسى) على نحو ما يذهب Seligman كحاجة ضرورية لادارة الصراعات التى قد تنشأ فى المجتمع(٣) ٠

---

(١) Seligman, Lester, G, Leadership (Political Aspects), International Encyclopedia of Social Science, edited by Sills David, P. 107.

(٢) Ibid, P. 107.

(٣) Ibid, P. 107.

وهنا نتساءل أين تقع زعاماتنا المصرية على هذين الطرفين ، هل هى زعامات تتسم بالبطولة القومية ؟ أم أنهم كانوا مجرد وسطاء سياسيين ؟

(٦)

ثم يأتى مفهوم السلطة Authority باعتباره من المفهومات وثيقة الصلة بظاهرة الزعامة السياسية • والسلطة السياسية الرسمية تعد أحد مظاهر القوة أو أحد مصادر القوة كما أشرنا ووفقا لما كشف عنه التراث النظرى لظاهرة القوة •

ولكن ما هى العلاقة بين الزعامة السياسية والسلطة ؟ بمعنى هل الزعامة السياسية يمكن أن ننظر اليها باعتبارها سلطة بمعناها الشرعى أو الرسمى ؟ وهل ترتبط الزعامة السياسية أساسا بالمنصب السلطوى الرسمى الذى يشغله الفرد ؟ وهل يمكن أن يستمد الزعيم السياسى قوته من طبيعة السلطة الرسمية التى يتمتع بها والتى تتيح له حق اصدار الأوامر والقرارات ؟ أم أن الزعامة السياسية لا ترتبط أساسا بالسلطة الرسمية ، أو ما يمكن تسميته بمبدأ الشرعية Legitimacy على نحو ما كذهب ماكس فيبر عند تحليله لظاهرة السلطة الكارزمية أو الالهامية Charismatic Authority

وموقع الزعامة السياسية من السلطة كانت أحد القضايا التى أثارت انتباه الباحثين فى علم الاجتماع السياسى ، فمنهم من ينظر الى الزعامة باعتبارها سلطة سياسيةرسمية كسيلجمان Seligman عند عرضه لنموذجى البطل القومى والوسيط السياسى ، ومنهم من ينظر الى الزعامة أو القيادة باعتبارها ظاهرة تتخذ ثلاثة أساسية فى علاقتها بالسلطة هى الزعامة أو القيادة ذات السلطة التقليدية Traditional والثانية زعامة ذات نمط سلطوى عقلانى أو رشيد Rational وثالثة زعامة يغلب عليها الطابع الكارزمى أو الالهامى Charismatic • والنمط الأول يمثل السلطة التقليدية كما تتمثل فى الأب ورجال الدين وشيوخ العشائر وكبار السن ، بينما يمثل النمط الثانى السلطة بصورتها الرسمية والتى تقتصر على رؤساء الدول (ملوكا كانوا أم رؤساء للجمهوريات أو الحكومات) والتى تستمد قوتها من مبدأ الشرعية •

أما النمط الثالث ونعنى به الزعامة الالهامية ، فهى لا تحتاج ـ كما

يذهب فيبر ـ الى الشرعية بصورتها الرسمية ، فصاحب السلطة الكارزمية الالهامية يعتمد (فقط) ـ وكما يؤكد فيبر ـ على قوة شخصيته ، فهو لا يعتمد فى سلطته على القواعد أو القوانين ، وهو يدعم سلطته من خلال البرهنة على قوته فى الحيـــاة ، فاذا أراد أن يكون نبيـــا Prophet فعليه أن يأتى بالمعجـــزات miracles واذا أراد أن يكون قائدا للحرب فينبغى أن تتوفـر لديه مقومات أو صكوك البطولية heroic deeds (١) ٠

فالقائد أو الزعيم الالهامى هو زعيم (الموهبة الخاصة) ، وهو ما يذكرنا بالأبعاد الذاتية التى أشار اليها فيبر عند حديثه عن ماهية القوة ومقومات بنائها ٠ وسلطة هـــذا القائد ، سلطة تستمد مقوماتها من سماته وقدراته المميزة وليس من خلال قواعد الشرعية وقوانين السلطة الرسمية ٠

فواضح أن فيبر اذن لا ينظر الى الزعامة فى علاقتها بالسلطة باعتبارها مظهرا واحـــدا فقد يكون زعامة رسمية أو زعامة كارزمية ، بل ان أشـكال الزعامات لديه تتعدد ، بتعدد صور السلطة وأشكالها ٠ ولكن ما لم يوضحه فيبر هو ألا يمكن أن يجمع الزعيم بين صفاته الكارزمية ووضعيته الشرعية أو الرسمية ؟

(٧)

والزعامة الكارزمية ـ على نحو ما يؤكد كل من بـــن Benn وبيترز Peters ، وعلى نحو ما يمكن أن نستخلصه من أفكارهما يمكن أن نجمع بين السلطة الرسمية من جهة وممارسة القوة خارج نطاق الشرعية من جهـــة أخرى ، ودليلنا على ذلك أنهما فى مناقشاتهما التى دارت حول الأسس الدينية والميتافيزيقية للســـلطة والالتزام أكدا على أن الزعامة الالهامية هى زعامـــة تتسم بالغموض وترجع الى ما كان يتمتع به الملوك من حقوق (الهية) ، وهو الأمر الذى ناقشه كل من بوسيه Bossuet وجيمس الأول فى بحثهما عن الصفات التى تميز الملوك عن غيرهم من الأفراد العاديين ٠ ثم يقول كل من

---

(١) Gerth and Mills, From Max Weber, PP. 248 - 249.

بن وبيترز أن هذه السمات قد وجدت تجسيدا لها لدى نابليون وهتلر وستالين(١) ٠

فواضح اذن أن النماذج التى أشار اليها الباحثان هى نماذج ذات طبيعية سلطوية ، أى أنها استمدت قوتها من وضعها الشرعى الرسمى ، ولكن مع هذه الوضعية الشرعية يرى العالمان امكانية الجمع بينها وبين السمات الكارزمية التى يتمتع بها الزعيم الذى يؤمن بنجوميته ، وفى أنه جاء كمبعوث أو كصاحب رسالة Man With Mission ، أو ببساطة أنه الزعيم الذى يعتقد فى ذاته ، وفى قدراته ، وفى أن يولد فى اتباعه الشعور بالثقة ، وفى امكانية وصولهم للسلطة(١) ٠

(٨)

والسلطة كمفهوم(٢) لا يعنينا فى ذاته الا من خلال علاقته بظاهرة الزعامة السياسية بوجه عام ، والزعامة السياسية المصرية على وجه الخصوص ، لا سيما فيما أثاره فيبر فى تصنيفه الثلاثى للزعامة فى علاقتها بالسلطة ٠ وما يعنينا من ثلاثية فيبر هذه هو مقولة الزعامة ذات السلطة الرشيدة أو العقلانية والتى تقوم على أساس مبدأ الشرعية أو الرسمية ثم تلك الزعامة ذات الطبيعة الكارزمية أو الالهامية والتى تستمد قوتها لا من السلطة الشرعية بقدر ما تستمده من مجموعة السمات المتميزة التى تتفرد بها تلك الزعامة ٠ **والسؤال هنا هو : اذا افترضنا أن هناك متصلا**

---

(١) Benn, S. I., Benn and Peters, R. S. Social Principles and the Democratic State, George Allen and Unwin, London, 1975, P. 301.

(٢) Ibid, P. 306.

(٢) انظر عرضا وافيا لمفهوم السلطة فى : Dornbusch, San Ford, M., Evaluation & the Exercise of Authority, PP. 37 - 63.

وانظر أيضا : ابراهيم ابو الغار ، نظرية السلطة فى المفهوم الاجتماعى ، فى دراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا (تاليف مجموعة من أساتذة علم الاجتماع) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ص ٢٩٧ ـ ٣١٠ ٠

وكذلك انظر : نبيل السمالوطى ، مرجع سابق ، ص ص ١١٣ ـ ١٣٩ ، حيث يشير الى المداخل الاساسية لدراسة قضية السلطة فى علم الاجتماع ، وهذه المداخل ، هى : المدخل الفلسفى ، والمدخل السياسى ، والمدخل السوسيولوجى ، كما يعرض لمفهوم السلطة والمفاهيم المرتبطة به ، ويطرح تفسيرا لاسباب الخضوع للسلطة وللعلاقة بين بناء القوة والقيادة السياسية.

Continuum ذا بعدين ، يمثل طرفه الأول الزعامة ذات الصفة الشرعية او الرسمية ، بينما يمثل طرفه الآخر الزعامة ذات الطبيعة الكارزمية الالهامية ، فأين تقع الزعامات السياسية المصرية على هذا المتصل أى بمعنى أى الزعامات أقرب الى الشرعية ؟ وهل يحق لنا ـ عندئذ ـ أن نطلق عليها اصطلاح زعامة؟ ثم أى الزعامات أقرب الى الكارزمية وهل تكفى السمات الكارزمية وحدها لخلق الزعيم السياسى ؟ ثم أخيرا ما هى الزعامات السياسية المصرية التى جمعت بين الشرعية والالهامية ؟

ثانيا : الزعامة السياسية وعلوم الانسان والمجتمع

(١)

كشف لنـــا الطرح النظرى المحدود(*) عن أن مفهوم الزعامة السياسية غير منبت الصلة على الاطلاق بعدد من المفاهيم الأخرى كمفهوم القوة والسلطة، وهو أمر يكشف عن مدى التداخل بين المفهومات الثلاثة ، ولقد آثرنا أن يكون عرضنا السابق فى خدمة دراستينا التاريخية والميدانية عن الزعامة السياسية المصرية ، محاولين اختبار بعض مقولات التنظير التى أشرنا اليها ٠

ومن المؤكد أن العرض السابق قد كشف أيضا عن جهد متصل للمفكرين والعلماء فى دراسة قضايا القوة والسلطة والقيادة أو الزعامة ، ويؤكد فى الآن نفسه صفة المشاعية الاصطلاحية من جانب ومشاعية التناول من جانب آخر ٠ وتتكشف مشاعية التناول فى أنه على الرغم من أن غالبية المنظرين الذين أشرنا اليهم ممن ينتمون الى علم الاجتماع وعلم السياسة وعلم الاجتماع السياسى الا أنهم قد استعانوا بعدد من مفاهيم علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى والاقتصاد فى تفسير ظاهرتى القوة والسلطة ٠

ومن مظاهر مشاعية التناول أن الاهتمام بظاهرة الزعامة السياسية لم يكن قاصرا على علماء الاجتماع أو السياسة أو علم الاجتماع السياسى أو بعض علمـــا النفس الاجتماعى ، بل تجـــاوزه الى المؤرخين الاجتماعيين والسياسيين الذين اهتموا برصد حركة الشعوب ومسارات تاريخها ، ووقفوا على سير الأمم والمجتمعات ٠

---

* نعنى بالطرح النظرى المحدود اننا لم نعرض لكل التراث النظرى والفكرى الخاص بظاهرتى السلطة والقوة ، بل آثرنا الى ملامحه العامه واهم مقولاته ، مستخدمين كل هذا فى خدمة مؤلفنـــا عن الزعامة السياسية المصرية بشقيها التاريخى والآنى ٠ والمؤلف على اية حال ليس مؤلفا تنظيريا مدرسيا ، بل هو دراسة لقضية خاصة من قضايا علم الاجتماع السياسى ، ولقد أحلنا القارىء الى بعض القراءات الهامة التى نعتقد فى أهميتها وفى قدرتها على اعطائه رؤية تنظيرية أوسع وأرحب ٠

وللمؤرخين مناهجهم وطرائق دراساتهم التى تميزهم عن غيرهم من المهتمين بقضايا الانسان والمجتمع ، وان كان هذا لا ينفى ما يمكن تسميته بالتساوق المنهجى بين التاريخ وعلم الاجتماع وعلم الاجتماع السياسى · ورغم هذه الاعتمادية المنهجية فلقد تميز المؤرخون فى تناولهم لظاهرة الزعامة السياسية ولكنه كان تناول المؤرخ الذى قد يعنى برصد الظاهرة تارة ، وبمحاولة تحليلها وتفسيرها تارة أخرى ، وما بين الرصد ومحاولة التفسير تتأرجح محاولات المؤرخين بين البساطة والعمق ·

ومن المؤكد أنه من العسير أن ينفصل المؤرخ ـ شأنه شأن كل المتعاملين مع المعطيات الانسانية ـ عن ذاته وعن ايديولوجيته بمظاهرها السياسية والحزبية والطبقية والثقافية ··· الخ ، والتى قد تلعب دورا حاسما فى عملية تقويمه للزعامات السياسية ، ولأى ظاهرة أو واقعة سياسية وتاريخية ، وخاصة وأن الزعامة السياسية من القضايا التاريخية الخلافية التى تصطرع بشأنها الآراء ، وهى تعد من الظواهر التى يكون للأبعاد الحزبية السياسية والطبقية دورها عند صياغة (صورة) الزعيم و (ماهيته) كما يطرحها المؤرخ أو يتناولها الباحث ·

ومن هذا المنطلق اختلف المؤرخون فى تقويمهم للزعامة والزعماء ، ففى الوقت الذى ينظر فيه بعض المؤرخين الى نابليون أو هتلر أو موسولينى أو ستالين أو جورج واشنطون ، أو أحمد عرابى أو مصطفى كامل ··· الخ باعتبارهم زعماء سياسيين يرى فيهم البعض نماذج لأصحاب السلطة ، أو يرى آخرون فى (بعضهم) مجرد (مهيجيين سياسيين) ، يفتقدون (حس) الزعامة ومقومات الزعيم ·

(٢)

ولعل هذا التباين فى تقويم الزعامة والزعماء قد يرجع ـ وكما أشرنا ـ الى الاختلاف النسبى فى الرؤى السياسية والحزبية والطبقية للمؤرخ ، وقد يرجع أيضا الى اختلاف طبيعة (المعيار) أو المعايير التى يقيس من خلالها المؤرخ طبيعة الزعامة ، ويحلل وفقا لها نماذج الزعماء ، وهو الأمر الذى يتكشف من خلال مجموعة الدراسات والبحوث التى قدمها المؤرخون سواء فى الغرب أو فى الشرق عن الزعامة والزعماء ·

والزعامة السياسية المصرية قد شغلت نفرا غـــير قليـــل من المؤرخـــين المصريين وغير المصريين ، وهو اهتمام قد انعكس على هذا الكم الهائل مـــن الدراسات والبحوث التاريخية • وما يهمنا فى الواقع هو أن نؤكد أن الاهتمام بظاهرة الزعامة السياسية لم يكن قاصرا على علمـــاء السياسة والاجتماع ، وعلماء الاجتماع السياسى ، فضلا عن علماء النفس الاجتماعى ، بل ان ذات الظاهرة قد نالت قـــدرا كبيرا من اهتمـــام المؤلفين باختـــلاف انتماءاتهم الايديولوجية والفكرية •

والتساؤل هنا : اذا كان المؤلف الراهن يعنى بدراسة ظاهرة الزعامة السياسية المصرية فى ضوء مقولات علم الاجتماع السياسى ومن خلال البعدين التاريخى والبنائى ، واذا كنا قد أكدنا على الدور الذى لعبه المؤرخون فى رصد ظاهرة الزعامة السياسية ، فان ما يهمنا أيضا أن نكشف عن الجهد الذى بذله المؤرخون المصريون ـ وغـــيرهم ان أمـــكن ـ فى دراســـة هـــذه الظـــاهرة ، **والى أى حد انعكست انتماءاتهم الايديولوجية بروافدها المختلفة عند تقويمهم للزعامة والزعماء ؟ •**

المبحث الثاني

الزعامة السياسية بين الديموقراطية الحزبية والأوتوقراطية الشمولية

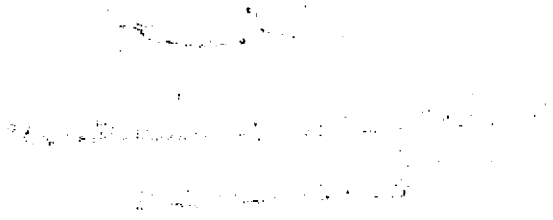

(١)

أثارت قضية الزعامة السياسية فى علاقتها بصيغ الحكم وأشكاله أو فى علاقتها بطبيعة النظم السياسية ، لا سيما فى علاقتها بالنظامين الديمقراطى Democratic System والأوتوقراطى Autocratic System جدلا بين المتخصصين فى علم الاجتماع السياسى ونقاشا بين المهتمين بقضية الزعامة السياسية فى علاقتها بالسياق الاجتماعى والسياسى Social and Political Context للمجتمع .

وعرضنا الراهن لهذه القضية يسعى الى الاجابة عن مجموعة من التساؤلات يمكن تحديدها فيما يلى :

١ ـ ما طبيعة المناخ السياسى والاجتماعى الذى يتيح للزعامة السياسية البزوغ والانبثاق ؟ أو بصورة أكثر تحديدا هل تلعب الديمقراطية بصورتها الحزبية دورا فى تخلق الزعامة وتفريخ الزعماء ؟ وهل من الممكن أن ننظر الى خصائص الديمقراطية وسماتها باعتبارها أحد المقومات التى تنهض وفقا لها الزعامة السياسية ؟

أم أنه يمكن القول ان ظروف المجتمع الاوتوقراطى الفردى ، و (أزمة) الحكم الشمولى تعد مناخا ملائما لظهور الزعامات السياسية ، على اعتبار أن الزعامات تعتبر ـ حينئذ ـ أحد مظاهر (الخلاص) من سلبيات هذا النظام ؟

٢ ـ ويثير التساؤل السابق ، تساؤلا آخر هو : هل تعد الزعامة السياسية ـ باعتبارها ظاهرة سياسية ذات أبعاد مجتمعية ـ انعكاسات لديناميات الواقع السياسى والاجتماعى والاقتصادى للمجتمع ؟ أم أنها تعد من الظواهر المستقلة التى تظهر أو تنبثق بصورة تلقائية عفوية بغض النظر عن متغيرات البناء الاجتماعى والسياسى ؟

٣ ـ بمعنى آخر : هل الزعامة السياسية ـ بصرف النظر عن سمات

الزعيم ـ زعامة (موقف) ؟ أو زعامة (أزمة) ؟ وهل يتناقض هذا مع الهامية الزعامة ؟ وهل يؤكد هذا ما ذهب اليه الماركسيون من أن ظروف اللامساواة والتناقض الطبقى هى التى تعمل على خلق الزعامة السياسية ، انطلاقا مما أكده ماركس من أنه ليس للفرد ـ أى فرد ـ وجود حقيقى خارج بيئته أو محيطه ؟

٤ ـ ثم أين تقع الزعامات السياسية المصرية فى ماضيها أو حاضرها وسط هذا الكم من التساؤلات ؟ بمعنى هل انبثقت تلك الزعامات المصرية فى ظل (أزمة) الحكم المطلق ؟ أم أنها تخلقت فى ظل الديمقراطية الحزبية ؟

ثم ما هو الدور الذى لعبته الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية بوجه عام فى توليد الزعامات المصرية وانبثاقها ؟ ثم الى أى حد اتسقت الهامية الزعيم ـ ان وجدت ـ مع الظروف الموضوعية للمجتمع المصرى ؟

٥ ـ ثم أخيرا : ما هو موقف الزعامة السياسية من الديمقراطية كصيغة أو كمبدأ ؟ بمعنى هل الزعامة السياسية بطبيعتها تستوجب الأخذ بالمبدأ الديمقراطى فى قيادة حركة الشعوب ؟ أم أن المبدأ الاستئثارى والديكتاتورى هو انسب الصيغ وأكثر الاساليب ملاءمة لمثل هذه النوعية من القيادات ؟

(٢)

والواقع أننا لسنا فى معرض التأصيل النظرى لكل من النظامين الديمقراطى والاوتوقراطى ، أو فى مجال المقارنة التفصيلية بين خصائص كل من الصيغتين ولكن ما نحرص عليه حقيقة هو تلك المقولات الاساسية التى تميز كل نظام عن الآخر(*) .

---

* للاطلاع على تفاصيل التمايزات القائمة بين النظامين الديمقراطى والاوتوقراطى انظر على سبيل المثال : محمد كامل ليلة ، النظم السياسية : الدولة والحكومة ، دار الفكر العربى ، للقاهرة ، ١٩٦٨ .

كذلك انظر : لاسكى ، الحرية فى الدولة الحديثة ، ترجمة أحمد رضوان عز الدين ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ .

وكذلك : Chumpeter, Joseph, Capitalism and Democracy.

وانظر أيضا :

Padover, Saul, K., The Meaning of Democracy ; Lancer Books, New York, 1968.

ودون التعرض لتفاصيل هـــذه المقولات نؤكد أن النظام الديمقراطى يعنى ـ كما يذهب كيلسين Kelsen ـ مشاركين المحكومين فى الحكم كما أنه يعنى أيضا الحـرية • والديمقراطية كصيغة للحكم ترجع أصـــل السلطة السياسية الى مصدرها الأساسى وهو الارادة العامة للأمة ، أى أن السلطة لا تكون شرعية Legitimate الا اذا كانت وليدة ارادة الأمة •

فالتأكيد على سـيادة الشعب ، وعلى أن الأمـــة هى مصدر السيادة ومستودعها ـ على نحو ما تذهب المـادة الثالثة من اعلان حقوق الانســـان كما أعلنته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ـ يعد من أهم السمات الديمقراطية ، فضلا عما يراه روبرت ميتشلز Michels من أن الديمقراطية نظام للحكم يجعل كل المواطنين متساويين أمام القانون ، وهى تمنح كل فـــرد فرصـة الصعود الى قمة التدرج الاجتماعى ••• وتلغى كل امتيازات الميلاد ، وتخلق الرغبة فى المجتمع الانسانى ، وفى أن الصراع من أجل التفوق ينبغى أن يتقرر ـ فقط ـ وفقا للقدرة الفردية(١) •

ويؤكد توكفيل Tocqueville أن الديمقراطية قد وجدت لـكى تحقق الحرية السياسية Political Liberty ، وبدون المشاركة الشعبية فى ممارسة القوة لا يمكن أن تتحقق الديمقراطية(٢) •

والى جانب المشاركة الشعبية والحرية السياسية تتسم الديمقراطية كصيغة غربية للحكم بثلاث سمات أساسية هى : أنها تعنى حكم الاغلبيـة بمعنى ـ وكما يشير اريش Irish ـ أن تكون هناك حرية فى اختيـــار الافراد الذين يضعون السياسات العامة ، بينما تشير السمة الثانية الى حرية

= وكذلك : Kelsen, Hans, Foundation of Democracy, Ethics : An International Journal of Social, Political and Legal Philosophy, Vol. LXVI, No. I, October, 1955.

(١) Michels, Robert, Political Parties : Asociological Study of the Oligarchica, Tendencies of Modern Democracy, The Free Press, New York, 1966, P. 41.

(٢) Aron, Raymond, Main Currents In Sociological Thought I, translated by Richard Howard and Helen Weaver, A Doubleéay Anchor Books, New York, 1968, P. 241.

المعارضة Dissent، بمعنى ان الديمقراطية تمنح الرأى الآخر الفرصة لكى يعبر عن وجهات نظره بحرية وبدون قيود أو عوائق · أما السمة الثالثة فتشير الى أن الديمقراطية لا تنهض الا من خلال نظامى الاحزاب السياسية ، والانتخابات الحرة ، حيث تساعد الأحزاب السياسية المواطنين على تحقيق عملية الضبط والمراقبة على حكومة الاغلبية التى تولت الحكم كنتيجة للانتخابات الحرة(١) ·

(٣)

أما الاوتوقراطية ، أو بمعنى أدق الديكتاتورية الشمولية ، أو ما أسماه أفلاطون بالنزعة الاستبدادية فى الحكم وما أشار اليه توماس الأكوينى فى رسالته عن النظام الملوكى أو الملكية On Kinship ·

والاوتوقراطية أو النزعة التسلطية فى الحكم أحيانا ما توصف بأنها الديمقراطية المقمعة Oppressed Democracy كما يسميها هيرمنز F. A. Hermens، أو أنها الديمقراطية بوضعها المقلوب او المعكوس Inverted Democracy كما يصفها فيريرو Ferrero (٢) ·

ويعتبر النظام الديكتاتورى ـ على نحو ما يذهب محمد كامل ليله ـ من أبرز مظاهر الحكم الفردى ، حيث تتركز السلطة فى يد فرد واحد هو الديكتاتور · وللنظم الأوتوقراطية الديكتاتورية عدد من السمات لعل من أبرزها أن هذا النظام يقدم المجموع على الفرد ، فيكون الفرد مسخرا لخدمة الجماعة ، وتفرض عليه الواجبات قبل أن تمنح له الحقوق ، وحياته رهن اشارة الدولة ولا يتصرف فى أمواله الا وفق مقتضيات الصالح العام ، والحاكم الدكتاتورى هو الذى يحدد المقصود بالصالح العام(٣) ·

وموقف النظم الاوتوقراطية الديكتاتورية من قضية الحرية تتكشف

---

(١) Irish, Mariand, The Politics of American Democracy, PP. 51 - 53.

(٢) Hermans, Ferdinand, A., The Representative Republic, University of Notre Dam Press, Notre Dam, 1958, P. 115.

(٣) انظر : محمد كامل ليلة ، مرجع سابق ، ص ٣٣١ ، وانظر نفس المرجع ص ص ٣٢٢ ـ ٣٤٠ ، حيث يقدم المؤلف تحليلا وافيا لصور الحكم الفرد المطلق ·

ببساطة من أن الديكتاتورية كنظام تقضى على حريات الأفراد ، وتخضع كل أنواع النشاط الفردى لرقابتها ، فلا تقرر حرية الرأى ، أو حرية الاجتماع أو تكوين الأحزاب السياسية ، ولا تسمح بوجود معارضة فى داخل الدولة ، ولا تسمح الا بقيام حزب واحد يكون سندا للحاكم الديكتاتور فى تنفيذ سياسته(١) ٠

والنظام الاوتوقراطى الديكتاتورى نظام ينهض على أساس مقولة تقديس الحاكم الديكتاتور ، فهو نظام يعتمد اعتمادا كليا على قوة هذا الديكتاتور ، وسماته الشخصية ، فهو روح النظام وعماده الاساسى ، بحيث أن بقاء النظام أو فناءه يظل مرهونا ببقاء الديكتاتور أو زواله(٢) ٠

وقد يظهر من سمات الحاكم الديكتاتورى أنه أقرب ما يكون الى الحاكم الكارزمى أو الزعيم الالهامى ، ولكن هل حقيقة أن الصفات الديكتاتورية تتواكب دائما مع السمات الكارزمية ؟ ، وهل الزعيم الكارزمى دائما ـ اذا ما قدر له أن يحكم ـ يتسم بالاوتوقراطية وبالانفراد بالرأى والاستئثار به ؟ ثم أين تقع زعاماتنا السياسية المصرية من بعدى الكارزمية ـ الديكتاتورية ؟

(٤)

ولعل فى اشاراتنا الى المقولات الاساسية التى ينهض وفقا لها النظامان والاوتوقراطى ما يجعلنا نتساءل : أى من هذين النظامين يعد (التربة الصالحة) لنشأة الزعامات وتخلقها ؟ ومن خلال أى من هذين النظامين يجد الزعيم ذاته وتتحدد ماهيته ؟

لقد وجد كل اتجاه من يؤيده ، ووجدت كل رؤية من يتشيع لها ، فمن قائل بأن الديمقراطية كنظام سياسى تعد التربة الصالحة لتخلق الزعامات السياسية ، ومن قائل آخر بشأن النظام الاوتوقراطى بظروفه الخاصة وأزماته والمشكلات التى تترتب عليه هى التى تعمل على انبثاق الزعامات السياسية وتألقها ٠

---

(١) انظر : محمد كامل ليلة ، نفس المرجع ، ص ٣٣١ ٠
(٢) انظر : محمد كامل ليلة ، نفس المرجع ، ص ٣٣٦ ٠

ويمثـــل فرديناند هـيرمنز Hermens النموذج الشايع للنظـــام الديمقراطى باعتباره المناخ الطبيعى لظهور الزعامات السياسية ، فيذهب الى معرض حديثه عن موقف الزعامة السياسية من الديمقراطية المباشرة وغـير المباشرة ، الى أن الديمقراطية المباشرة Direct Democracy بطبيعتهـــا لا تخلق الزعامات ، بينمـــا يرى أن الظروف الديمقراطيـة غـــير المباشرة Indirect Democracy تعمل على انبثاق الزعامات السياسية ، كما أن هذه الزعامات تلعب ـ بالنسبة للديمقراطية غير المباشرة ـ دورا حاسما فى توجيه الرأى العام Public Opinion .

فظروف المجتمع الديمقراطى ـ حسبما يرى هيرمنز ـ وما يتمتع به هذا المجتمع من حرية هى التى تعمل على تولد الزعامة وتخلقها ، لذلك فان هيرمنز Hermns لا يوافق على الرؤية الماركسية التى تتهم الزعامات السياسية التى تظهر بالمجتمعات الديمقراطية ، على اعتباراتها زعامات غير حقيقيـة ، زعامات طبقية ، خلقتها حالة اللامساواة التى تعيشها المجتمعات الديمقراطية الغربية(١) ٠

فالمـاركسيون ينظرون الى زعامات المجتمعات الديمقراطيـة الغربيـة باعتبارها زعامات بورجوازية طبقية ، وهو ما يرفضه هيرمنز ، حيث يرى أن الزعامة السياسية لا تخلق الا من خلال المجتمع الديمقراطى ، الى الدرجة التى يمكن معها ـ حسبما يذهب هيرمنز ـ تعريف الديمقراطية بانها الحكم عن طـــريق الزعـــــامة Democracy is Government by Leadership حيث تتيح ـ باعتبارها عمليـــة تنافسية ـ لأصحاب المواهب الخاصـة فى الزعامة أن يتألقوا وأن ياخذوا فرصتهم فى الممارسة السياسية القيادية ٠ وهذه المزية تنفرد بها الديمقراطية كصيغة للحكم(١) ٠

ويبدو أن هيرمنز يؤمن بامكانية الجمع بين كل من الزعامة السياسية والحكم بصورته الرسمية أو الشرعية ، أو أنه يؤمن بأن الحاكم الحقيقى هو

---

(١) Hermans, Ferdinand, A., The Representative Republic, PP. 27 - 28.

(٢) Ibid, P. 31. انظر تفـاصيل ذلك فى :

الحاكم الزعيم ، وهو النموذج الذى لا يمكن أن تخلق صيغة أخرى للحكم غير الصيغة الديمقراطية ٠

ومن هذا المنطلق يميز هيرمنز بين المجتمعات أو الحكومات التى تقوم على أساس مبدأ الزعامة والحكومات التى تقوم على مبدأ الحاكمية Rulership ، فيؤكد بادىء ذى بدء على أن الحكومات الديمقراطية هى حكومات الزعامة ، وما دونها تعد حكومات ذات نزعة حاكمية غير زعامية(٢)٠

ويميز هيرمنز بين كل من حكومات الزعامة وحكومات الحاكمية من خلال مجموعة من الأسس ، يشير فى أولها الى أن حكومات الزعامة عادة ما تتسم بالصفوة أو الجماعة المفتوحة Open Group ، بينما تشكل الصفوة فى حكومة الحاكمية ما يمكن تسميته بالجماعة المغلقة Closed Group ، فصفوة المجتمع الديمقراطى وزعامته غير مغلقة ، بل هى مفتوحة للجميع ، وغير قاصرة على فئة أو عدة فئات دون غيرها(٣) ٠

ثم يعرض هيرمنز لتمايز آخر مفاده أن الزعامة السياسية فى معناها الدقيق تعنى أن هناك تنافسا حرا ، وهو ذلك التنافس الذى يرتبط أساسا بالمجتمعات الديمقراطية ، وهو الأمر الذى تعجز عن تحقيقه المجتمعات غير الديمقراطية ، حيث يتيح النظام الديمقراطى الحزبى ، للتيارات السياسية الحزبية المختلفة الفرصة فى اثبات كفاءة ممثليها من خلال العمليات الانتخابية الحزبية التنافسية ، حيث يلعب الأفراد ذوو الكفاءة أدوارا مميزة داخل بناء القوة Power Structure للمجتمع الديموقراطى ٠

معنى ذلك أن هيرمنز لا يعترف بالزعامة الا من خلال المجتمعات الديمقراطية الحزبية ، بمعنى **أنه لا زعامة بلا حزبية ، أو لا زعامة بلا ديمقراطية** ، لذلك فانه يرى أن مبدأ الزعامة Leadership Principle الذى تبنته النازية قد خلق تناقضا وفوضى بين المفاهيم المختلفة ٠

فالزعامة ـ كما يرى هرمنز ـ لا تتخلق الا من خلال اختيار حر للأفراد، اختيار ينبع من ادراكهم بأن هناك أفرادا يظهرون بصورة تلقائية

---

(١) Ibid, P. 31.
(٢) Ibid, P. 31.

Spontenous ـ وذوو سمات خاصة يستطيعون أن ينجزوا ما يعجز عن تحقيقه الآخرون ، وهم بذلك يختلفون عن هؤلاء الأشخاص المعينون رسميا و (وظيفيا) وبذلك يرى هيرمنز انه لا يمكن التعامل مع هؤلاء باعتبارهم زعماء(١) ٠

(٥)

ويؤكد هيرمنز أن صفوات النظام الحاكمى الخالى من الزعامات تختلف عن صفوات النظام الذى ينهض وفقا لمبدأ الزعامة ، وذلك من حيث طبيعة هذه الصفوة ومكوناتها ، فضلا عن علاقتها بالمحكومين ٠ ويلاحظ هيرمنز أن صفوات النظام الحاكمى عادة ما تستخدم أساليب قد تصل فى كثير من الاحيان الى حد استخدام القوة الفيزيقية (يستشهد فى ذلك بموسيليني كنموذج للسلطة الحاكمية غير الزعامية) ٠ بينما لا تلجأ صفوات النظام الزعامى الى تلك الأساليب ٠

ولقد وجدت الصفوة الحاكمية غير الزعامية (موسيليني) ـ حسبما يشير هيرمنز ـ تجسيدا لها لدى أعمال باريتو Pareto واسهاماته عن نظرية الصفوة ٠ ويستشهد هيرمنز بما قاله موسيليني لكى يؤكد نزعته الديكتاتورية التسلطية عندما تساءل ما هى الدولة ؟ What [illegible] حيث أشار الى أنه لا قيمة للقواعد أو العقائد أو القوانين بالنسبة للدولة ، ما دام هناك رجال الشرطة أقوياء يستطيعون من خلال قوتهم الفيزيقية أن يحلوا محل تلك القوانين الفاشلة(١) ٠

ولا ينفى هيرمنز امكانية لجوء الزعامات الديمقراطية لاستخدام القوة الفيزيقية أحيانا للقيام بعملية الضبط على بعض الاقليات الجانحة ، ولكن هذا الاستخدام للقوة الفيزيقية يعد استثناءا ، بينما يمثل نفس الاسلوب القاعدة بالنسبة لمجتمعات السلطات الحاكمية ٠

ولكن فى الوقت الذى يؤكد فيه هيرمنز على حتمية انبثاق الزعامات من

---

(١) Ibid, P 31.
(٢) Hermens, Ibié, P. 36.

خلال المجتمع الديمقراطى ، يذهب ميتشلز Michels الى صعوبة اتساق أو التساوق بين الزعامة والاديمقراطية ، لأن الزعامة ـ على نحو ما يذهب ميتشلز ـ عادة ما تتحول الى حكم للاقليـــة أو لاليجاركية ... والزعامة تنبثق عادة ـ فيما يتصور ميتشلز ـ خلال فترات الازمات ، حيث تحتـاج التنظيمات السائدة الى زعامة قوية وضبط دقيق للنظم الاجتماعية للمجتمع.

ويـرى ميتشلز أن الزعماء هم الذين يصيغون النمط الاوليجاركى من خـــلال الطابع الذى يميز شخصياتهم ومن خلال طبيعة الدور الذى ينبغى أن يلعبوه فى المجتمع . وهم ـ أى هؤلاء الزعماء ـ يتسمون بتفوقهم الثقافى والتعليمى ، وهم يشكلون صفوة متميزة(١) .

فواضح اذن أن ميتشلز لا يرى تلازما بين الزعامة كظاهرة فى المجتمع والديمقراطية كصيغة للحكم ، بـــل انه يرى أن الزعامة هى التى تعمل على خـــلق مجتمع الاقليـــة ، مجتمع الصفوات المتميزة ، المتسامية ثقافيـــا وتعليميـــا(٢) .

ويسير على ذات المنهج نفر غير قليل من الباحثين والعلماء ، حيث يرون أن الزعامة لا تخلق من خلال المجتمع الديمقراطى ، بل ان الزعامات تنبثـق ـ فقط ـ من خلال أزمة المجتمع الديكتاتورى ، حيث يمثـل الزعماء ـ عندئذ طريق الخلاص من وطأة الحكم الاوتوقراطى ، وليس كما يرى ميتشلز من أن الزعماء هم الذين يشكلون مجتمع الاقلية الحاكمة .

وينبغى فى هـــذا الصـدد أن نميز بين نوعين من الزعامات : الزعامات الحاكمة وهى التى يخلقها المجتمع الديمقراطى من خلال الانتخابات الحزبية الحرة ، والزعامات السياسية غـــير الحاكمة ، وهى التى تنبثق تلقائيا من خلال ظروف المجتمع الاوتوقراطى والتى تتجسد بصورة جلية فى الحركات

---

(١) نقلا عن : Tannebuim, Arnold, Leadership (Sociological Aspects) International Encyclopedia of Social Science, PP. 102 - 103.

(٢) انظر دراسة هامة عن الزعامات والصفوات الحاكمة فى :
Perrucci, Robert and Pilisuk, Marc, Leaders and Ruling Elites : The Interorganizationl Bases of Community Power, **American Sociological Review**, 1970, Vol. 35, December, PP. 1040 - 1057.

الاجتماعية Social Movements ومنها الثورات مثلا ، والتى ينبغى أن يترتب عليهـــا ـ على نحو ما يذهب هنرى مور Moore ـ تحولا فى نمط الحكم حيث تتحقق الصيغة الديمقراطية الحزبية(١) .

ثم علينا بعد ذلك أن نتساءل : هل الثورة ـ وأقصد بها الثورة على الحكم الاوتوقراطى الشمولى ـ تعد المناخ الطبيعى لتولد الزعامات السياسية باعتباره صورة من صور التحديث السياسى Political Modernization

---

(١) لنظر عرضا لوجهة نظر مور فى : عاطف أحمد فؤاد ، الحـــرية والفكر السياسى المصرى : دراسات تحليلية فى علم الاجتماع السياسى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

المبحث الثالث

الزعامة السياسية وظاهرة الثورة

(١)

تعد المعالجة السسيولوجية لظاهرة الثورة أحد محاور الاهتمام فى علم الاجتماع السياسى ، وان كانت الظاهرة باعتبارها حركة اجتماعية ليست حديثة النشأة ، ولم يكن الاهتمام بها وبدراستها وليد الظروف المعقدة للعالم المعاصر(١) ٠

والثورة تختلف فى مضمونها وديناميكياتها ونتائجها عن ظواهر التمرد Revolt والعصيان المسلح Insurrection والانتفاضة Uprising فهذه الظواهر أو الحركات الثلاث ، قد ينظر اليها باعتبارها المظاهر السلبية للثورات ، أو المؤشرات الموضوعية لعدم نجاح تلك الثورات ٠ فالثورة ـ على نحو ما يذهب بيتر كالفيرت Calvert ـ محاولة لتغيير النظام السياسى ، أو أنها حركة ترمى فى نهاية الأمر الى احداث تغيير سياسى فى المجتمع(٢)٠

ويرى كرين برنتون Printon أن الثورة يمكن النظر اليها باعتبارها تلك الاعمال العنيفة التى تقوم بها فجأة جماعة من الناس لانتزاع السلطة من يد جماعة أخرى فى اقليم ما(٣) ٠ وهى ظاهرة يصحبها دائما العنف ، فيلكس جروس Gross الى أربعة مستويات هى :

(أ) **الثورة من أعلى :** أى الثورة من القمة وتأتى نتيجة تحرك جماعة من القوات المسلحة بقصد الاستيلاء على القوة السياسية ٠

(ب) **الثورة من أسفل :** أى الثورة من القاعدة ، وهى حركة شعبية غير منظمة فى الاغلب الاعم ٠٠ وهى تحدث عادة نتيجة استياء اجتماعى ومعاناة

---

(١) أنظر عرضا وافيا لمفهوم الثورة وتحليلا تاريخيا ونظريا لها فى : السيد الحسينى ، علم الاجتماع السياسى . المفاهيم والقضايا ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ص ٣١١ ـ ٣٦٠ ٠

(٢) السيد الحسينى ، نفس المرجع ، ص ٣١١ ٠

(٣) كرين برنتون ، دراسة تحليلية للثورات ، ترجمة عبد العزيز فهمى ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، القاهرة ، سنة النشر غير مذكورة ، ص ٤ ٠

ضخمة من قبل الشعب وحصيلة تناقض طبقي وصراع عنيف بين طبقـــات المجتمـــع ٠

(ج) **الثورة المشتركة :** وتعني الاستيلاء المشترك على القوة السياسية وهي نتاج عناصر مشتركة من الثورة من أعلى والثورة من أسفل ٠

(د) **ثورة القصر :** يقصد بها انتقال القوة السياسية بطريق العنف داخل الجماعة الحاكمة نفسها(١)٠

(٢)

والواقع ان عرضنا الراهن لظاهرة الثورة لا يستهدف تحليلا نظـــريا أو عرضا تاريخيا لها(٢) بقدر ما يهدف الى التعرف على (موقع) الزعامة السياسية من هذه الظاهرة ، والكشف عن (دورها) فيها ، فضلا عن محاولة الاجابة عن **التساؤل الآتي : هل تقوم الثورة (كأحد الظروف الموضوعيـــة للمجتمع) بخلق الزعـامات السياسية ؟ أم أن وجـــود الزعامات السياسية سابق على وجود الثورة ؟ وما دور الثورة الا أنهـــا تقوم بعملية تجسـيد للزعامة وابراز لدورها ؟ ٠**

ويؤكد التاريخ السياسي للمجتمعات أنه لا ثورة بلا زعامة سـياسية ، سواء أكانت ثورة من أعلى أو من أسفل أو مشتركة ، وسواء بدأت هـــذه الزعامة منذ ارهاصات الثورة وبداياتها الاولى والتمهيد لها ، أو بدأت تتخلق أثناء الثورة التي قد تظهر بصورة عفوية تلقائية ٠ ولعل هذا يكشف عن أن للزعامة ضرورة من ضرورات الثورة ، حيث لا ثورة بلا قائد ذى موهبـــة أو قدرات خاصة ، يدعم الثورة ويقودها ويحدد مسارها ، كما أن للثورة فضلا

---

(١) انظر . ابراهيم درويش ، ظاهرة الثورة كاداة للتغيير الاجتمـــاعى ، مجلة مصر المعاصرة ، العدد ٣٣٩ ، يناير ١٩٧٠ ، ص ١٩٦ ٠

(٢) يؤكد التأصيل النظرى لظاهرة الثورة أن هناك أكثر من اتجـــاه فكرى ونظرى لتحليل هذه الظاهرة منها الغربى الكلاسيكى والاتجـــاه المـاركسى الذى يعيب على النظريات البورجوازية (الغربية) عن الثوره أنها نظريات مسطحة ، اذ انهـــا لا تكشف عن الميكانيزم الحقيقى لكيفية نشوء الثورات وتطورها ٠

انظر : يورى كرازين ، علم الاجتماع الثورة (سسيولوجيا الثوره) : نظرة ماركسية ، ترجمة شوقى جـلال ، ص ٨ ٠

على الزعيم اذ لولا ظروف انبثاقها لظلت موهبة الزعيم كامنة لا تجد السبيل للتعبير عن قدراتها ٠

لذلك فانه من أولى الملاحظات التى ينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار عند نجاح الثورات الديمقراطية على نحو ما يذهب هيرمنز هو حاجة هذه الثورات الى الزعامة السياسية ، وهنا ينبغى أيضا ـ كما ينوه هيرمنز ـ على الزعيم السياسى أن يكافح من أجل التخلص من النماذج السلفية المرتبطة بالماضى ، كذلك يجب عليه أن يتجاوز مصالحه الشخصية ويتخلص منها(١) ٠

وارتباطا بظاهرة الثورة ، فان على الزعيم السياسى ـ حسبما يشير هيرمنز ـ أن يدرك ادراكا واعيا الوقائع السياسية لعصره ، وأن يحدد بدقة طبيعة الظواهر أو الوقائع أو النظم التى تستوجب التغيير ، كما عليه أيضا أن يتمثل تجارب الماضى ، وأن يحدد بدقة ما هى المجالات التى يفتقر فيها للخبرة والعلم ، فيتزود بهما ، الأمر الذى يمكنه من تحقيق ما يزمع اجراؤه من تغييرات فى المجتمع(٢) ٠

ولما كانت الثورة أحد مظاهر التحديث السياسى Political Modernization فان ظهور الزعماء السياسيين باعتبارهم حاملى لواء هذا التجديد أو التحديث يعد أمرا ضروريا ـ بل وحتميا ـ فهم يظهرون فى الوقت الذى يشعر فيه المجتمع ـ على نحو ما يرى هيرمنز ـ بضرورة تغيير النماذج الفكرية والسلوكية ، ومن ثم تندلع الثورة ـ بقيادة هؤلاء الزعماء ـ تحقيقا لتلك الأهداف(٣) ٠

والمثير للتساؤل حقا فيما يتعلق بتصورات هيرمنز عن الزعامة ، انه فى الوقت الذى أكد فيه أن الزعامة لا يمكن أن تظهر الا من خلال مجتمع ديمقراطى ، يقر ثانية بامكانية ظهور الزعامات السياسية من خلال الثورات ضد النظم الاوتوقراطية ، فهل يعنى ذلك أن هيرمنز قد تناقض مع نفسه ، أم أنه قد تراجع واعترف بامكانية ظهور الزعامات السياسية من خلال المجتمعين الديمقراطى والاوتوقراطى ؟ ٠

---

(١) Hermens, The Representative Republic, P. 23.

(٢) أنظر : Hermens, Ibid, P. 197.

(٣) Ibid, P. 197.

ولعل الرؤية التى أشار اليها هيرمنز والتى ترى فى الثورة أحد أشكال التحديث السياسى ، قد عرض لها مور Moore فى دراسته عن السياسات التسلطية والتى رأى فى الثورة تحديثا ينبغى أن يصحبه بالضرورة تغيير فى نمط الحكم وفى طبيعة النظام السياسى السائد التى قامت الثورة أساسا للقضاء عليه(١) ٠

وفى نطاق البحث عن ماهية الزعامة السياسية المصرية ينبغى أن نتساءل : **هل للثورات التى اندلعت عبر التاريخ الطويل للمجتمع المصرى دور فى خلق الزعامات السياسية ؟ أم ان الزعامات السياسية المصرية قد تخلق وجودها قبل وجود الثورة ذاتها ؟ ثم هل استطاع الزعماء السياسيون المصريون أن يقودوا حركة التحديث السياسى التى قامت الثورات المصرية أصلا لتحقيقها ؟ ثم أخيرا هل كان لكل زعيم من زعمائنا السياسيين رؤية أو ايديولوجية خاصة ؟ أم انها كانت زعامات بلا رؤى أو ايديولوجيات ؟** ٠

---

(١) انظر عرضا لهذه الدراسة فى : عاطف أحمد فؤاد ، الحرية والفكر السياسى المصرى ، مرجع سابق ٠

المبحث الرابع

الزعامة السياسية والصفوة

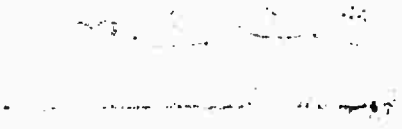

(١)

يستمد عرضنا لمفهوم الصفوة أو الصفوات The Elites شرعية انتمائه لقضية الزعامة السياسية مما أشار اليه بعض الباحثين من أنه يمكن النظر الى الزعامات السياسية باعتبارها صفوة من صفوات المجتمع ، قد تكون صفوات عسكرية Military Elites أو صفوات سياسية Political Elites أو صفوات مثقفة Intellectual Elites فما هى اذن الصفوة أو الصفوات ؟ وكيف يمكن معالجة ظاهرة الزعامة السياسية فى ضوء نظرية الصفوة ؟ ٠

وتمثل نظرية الصفوة مبحثا هاما من مباحث الدراسة فى علم الاجتماع السياسى(١) وهى ظاهرة وثيقة الصلة بمجموعة المفاهيم التى عرضنا لها قبلا وهى مفاهيم القوة والسلطة والثورة ٠٠٠ الخ ٠

ورغم أن ظاهرة الصفوة ليست حديثة النشأة ، بل ان الاهتمام بها كأحد مصادر القوى الاجتماعية قد شغل عددا كبيرا من الفلاسفة والعلماء والمفكرين منذ القرن الماضى وحتى اللحظة الراهنة وما سبق هذين القرنين من عصور اليونان وعصر النهضة وعصر التنوير ٠٠٠ الخ ٠ ويمكننا أن نقف على عدد من الاسماء اللامعة التى أولت هذه الظاهرة اهتماما خاصا فنذكر باريتو Perto وموسكا Mosca وبوتومور Bottomore والسير رايت ميلز Mills ، وان كنا نجد اهتماما أيضا بدراسة هذه الظاهرة لدى

---

(١) انظر عرضا وافيا لنظرية الصفوة فى علم الاجتماع السياسى فى : بوتومور ، الصفوة والمجتمع : دراسة فى علم الاجتماع السياسى ، ترجمة محمد الجوهرى وزملائه ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٢ ٠ وانظر الفصل الممتاز الذى عرض لنظرية الصفوة فى : محمد على محمد ، دراسات فى علم الاجتماع السياسى ، دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ، ١٩٧٧ ، ص ص ٣٢٧ ـ ٣٧٥ وكذلك الفصل الذى عقده السيد الحسينى عن الصفوة وبناء القوة فى : السيد الحسينى ، علم الاجتماع ، المفاهيم والقضايا ،ص ص ٨٥ ـ ١٤٢ ٠

كل من سـان سـيمون Saint Siman وكونت Comte وماركس Marx (١) ٠

والصفوة بوجه عام ـ وكما يراها كل من باريتو وموسكا وميتشلز ـ يمكن النظر اليها بوصفها جماعة أو مجموعة من الافراد يحتلون وضعا متميزا يسمح لهم بممارسة السلطة بشكل مباشر ، أو يكونوا فى وضع يمكنهم من التأثير بقوة على ممارسة السلطة السياسية ٠

ولعل اسهامات كل من باريتو وموسكا وميتشلز يمكن النظر اليهـا باعتبارها ردود فعل لتأثير النظرية الماركسية وتصوراتها عن طبيعة الطبقـة لحاكمة The Ruling Class المـالكة لوسائل الانتاج والطبقـة المحكومة The Ruled Class غير المـالكة لوسائل الانتاج ٠ والفكرة الاساسيـة أو المسلمة الاولى التى تنهض على أساسها نظرية الصفوة كمـا قدمها كل من باريتو وموسكا تتبلور فى الفكرة التى مؤداها أن الناس يحكمون بواسـطة صفوة ، والصفوة هنا تعنى أن هناك فئة أقل عددا وأقوى سيطرة وأشـد احتكارا للقوة ، بينما تميل الفئة الثانية (المحكومة) الى كبر الحجم ، الا انهـا تخضع لتوجيه الفئة الاولى وسيطرتها ٠ والفئـة الاولى هى صفوة سياسية وليست طبقة اجتماعية كما يتصور ماركس(٢) ٠

(٢)

ولقد تعددت النظريات التى تناولت ظاهرة الصفوة ، ولقد تشعبت هذه النظريات الى أربـع اتجاهات رئيسية هى : الاتجاه التنظيمى (موسكا

---

(١) انظر عرضا نقديا لنظرية الصفوة فى :

Dahl, Robert, A Critique of The Ruling Elite Model, **American Political Review**, Vol. LII. june 1958.

وانظر ايضـا :

Perruci, Robert and, Pilisuk, Leaders and Ruling Elites : The Interorganizational Bases of Community Power, **American Sociological Review**, 1970, Vol. 35, December, PP. 1040 - 1057.

(٢) انظر تفاصيل ذلك فى : فاروق يوسف احمد ، القوة السياسية : اقتراب واقعى من الظاهرة السياسية ، مكتبة عين شمس ، القاهره ، ١٩٧٩ ، ص ص ٨٢ ـ ٨٣ ٠

وميتشلز) والاتجاه السيكولوجي (باريتو)(١) ، والاتجاه الاقتصادى (برنهام) ، والاتجاه النظامى (السير رايت ميلز)(٢) . ولكن ما يهمنا فى واقع الأمر هو موقع الزعامة السياسية هذه الصفوات بوجه عام ، والزعامات السياسية المصرية على وجه الخصوص ؟ بمعنى **هل هناك نمط معين من الصفوات يمكن أن تنتمى اليها (كل) الزعامات السياسية المصرية ؟ أم أن لكل زعامة سياسية مصرية نوعية خاصة من الصفوات ؟أم أن هناك زعامات مصرية قد جمعت بين نوعين أو أكثر من الصفوات ؟** ، لاسيما وأن هناك أكثر من تصنيف للصفوات ، ففى الوقت الذى يشير فيه بوتومور Bottomore الى تقسيمه الثلاثى للصفوات (المثقفون والمديرون والبيروقراطيون)(٣) يذهب نادل Nadel الى الأخذ بثلاثية أخرى هى الصفوات الاجتماعية والصفوات المتخصصة والصفوات الحاكمة ، وتضم الصفوة الاخيرة القادة والزعماء السياسيين للمجتمع ، وهى تستمد سلطاتها من وضعها القانونى ، ولها من النفوذ والقوة ما يمكن أن يفوق ما تتمتع به الصفوات الاخرى من قوة أو نفوذ(٤) .

ويشير محمد على محمد الى نماذج من الصفوات استقاها من النظرية العامة للصفوة كما قدمها بوتومور ، وهذه النماذج هى : الصفوة العسكرية Military Elite ، والصفوة المثقفة Intellectual وتضم فئة الفنانين والعلماء والفلاسفة والمفكرين الدينيين والمتخصصين فى النظريات الاجتماعية والمعلقين السياسيين ثم الصفوة الادارية Business Elites أو صفوة رجال الأعمال وهى الصفوات التى لعبت دورا متميزا فى مجالات الصناعة والتجارة، ثم اخيرا الصفوة البيروقراطية Bureaucratic (٥) .

---

(١) انظر عرضا وافيا لنظرية باريتو عن الصفوة فى : Timasheff, Nicholas S., Sociological Theory, Random House, New York, 1967, PP. 165 - 167.

(٢) انظر لوجهة نظر السير رايت ميلز عن صفوة للقوة والاتجاه العام فى دراسة للصفوة فى : Mills, Wright. C., The Power Elite, Oxford Univ. Press, New York, 1959.

انظر عرضا وافيا لهذه الاتجاهات الاربع فى : نبيل السمالوطى ، بناء القوة والتنمية السياسية ، ص ص ١٦٠ ـ ١٦٩ . وكذلك : محمد على محمد ، مرجع سابق ، ص ص٣٤٠ـ٣٥٥ .

(٣) انظر : بوتومور ، الصفوة والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ٨٠ والصفحات التالية لها .

(٤) انظر : محمد على محمد ، دراسات فى علم الاجتماع السياسى ، ص ٣٥٨ .

(٥) انظر : محمد على محمد ، دراسات فى علم الاجتماع السياسى ، ص ٣٥٨ .

ولعله من المتفق عليه أن الزعامة السياسية صفوة متميزة ، وهو تميز قد يكون نابعا من طبيعة الاوضاع العسكرية التى يشغلونها ، أو قد يكون مصدره الخبرة السياسية أو التميز السياسى ، أو قد يكون مصدر هذا التميز خصائص ثقافية خاصة أو قدرات عقلية متفردة ٠

ولاشك أننا ـ مع التسليم بهذه المصادر الصفوية ـ الا أننا نسلم أيضا مع السير رايت ميلز Mills انه مع الاعتراف بالخصائص العقلية والسيكولوجية لهذه الصفوات ، الا أنه من المؤكد أن المكانة التى تشغلها الصفوة فى المجتمع لا تتوقف فقط على هذه الخصائص ، بل من المؤكد أن لطبيعة البناء الاجتماعى ـ الاقتصادى المجتمع تاثيرها فى صياغة الملامح المميزة للصفوات المختلفة(١) ٠ ولعل هذا التاكيد من قبل ميلز Mills يكشف عن مدى الفشل الذى يمكن أن يقابل دارسى الصفوة أو الزعامة السياسية أو أى ظاهرة أخرى عندما يتناولها بمعزل عن سياقها الاجتماعى والسياسى والثقافى ، **وهذا ما نود أن نوليه اهتمامنا عند دراسة الزعامة السياسية المصرية فى بعديها التاريخى والبنائى ٠**

---

(١) Mills, C. Wright, The Power Elite, P. 296.

مناقشـــــــــة عامـــــــة

وتصـــــور منهـــــجى

آثرنا ان يكون الفصل الأول من هذا المؤلف بمثابة اثارة لمجموعة من القضايا النظرية والفكرية وثيقة الصلة بظاهرة الزعامة السياسية ، حتى يتحدد اطارنا النظرى والمنهجى ، وهو اطار نظرى اختبارى ، يخضع بعض قضايا الفكر السياسى والاجتماعى الخاص بظاهرة الزعامة السياسيةللبحث والتقصى من خلال المعطيات السياسية المصرية التاريخية والمعاصرة ، ومن خلال ما تكشف عنه طبيعة الزعامات السياسية المصرية ٠

فموقفنا من التراث السابق لم يكن محض ترديد أو محاكاة بقدر ما كان **موقف المتسائل المختبر** ، استهدافا لتحقيق مبدأ التساوق بين المقولات النظرية والابعاد التاريخية والبنائية ، ويمكننا تحديد مجموعة هذه **القضايا والتساؤلات فيما يلى :**

١ ـ اذا نظرنا الى الزعامة السياسية المصرية باعتبارها قوة Power فهل لنا أن نتساءل من أى مصدر تستمد هذه القوة مقوماتها ؟ هل هو مصدر اقتصادى ؟ ، أم مصدر سلطوى رسمى ؟ ، أم هى مصادر ذاتية تتعلق بسمات خاصة وقدرات مميزة للزعيم السياسى المصرى ؟ أم هناك مصادر أخرى تستمد منها الزعامة المصرية مقومات قوتها ؟ ٠

٢ ـ ويثير التساؤل السابق تساؤلا آخر أكثر تحديدا هو أين تقع الزعامة السياسية المصرية فى ماضيها وحاضرها على متصل الكارزمية ـ الشرعية Charisma-Legitimacy Continuum؟ بمعنى ما هو الدور الذى لعبته السمات الكارزمية للزعيم أو الوضعية الشرعية والرسمية له فى صياغة منظومته الزعامية ، وما هى الزعامات السياسية المصرية التى أكثر ميلا الى المظاهر الكارزمية ، وأكثرها اتساقا بالوضعية الرسمية أو الشرعية ، ثم ما هى الزعامات المصرية التى استطاعت أن تجمع بين كلا المظهرين ؟

٣ ـ انطلاقا من الايمان بالدور الهام الذى تلعبه الظروف الموضوعية للمجتمع فى اتاحة الفرصة للزعيم أن تتألق مواهبه وتتكشف زعامته وقدراته القيادية ، فهل لنا أن نتساءل عن الدور الذى لعبته ظروف المجتمع المصرى فى تاريخه وحاضره فى خلق الزعامات المصرية ؟ لا سيما اذا وضعنا فى الاعتبار

بعدى الديمقراطية ـ الديكتاتورية ، حيث نتعرف على دور كل من الظـروف الديمقراطية الحزبية والظروف الديكتاتورية للمجتمع المصرى فى ظهور تلك الزعامات وانبثاقها ؟ ٠

٤ ـ أكد بعض منظرى التراث أن الثورة (كظاهرة) و (كعملية) هى التى تخلق الزعامات السياسية ، فالى أى حـد تصدق تلك المقولة على الزعامات السياسية المصرية وظروف انبثاقها ؟ ٠

٥ ـ ارتبط مفهوم الصفوة بمفهوم الزعامة السياسية ، حيث نظـــر البعض اليها باعتبارها صفوة قـــد تكون عسكرية أو سياسية أو مثقفة أو دينية ، والتساؤل هنا : هل يمكن اعتبار الزعامات السياسية المصرية أحد صور الصفوة ؟ واذا كانت كذلك فالى أى نمط من أنماط الصفوات تنتمى هذه الزعامات ؟ هـــل كان يغلب عليها الطابع العسكرى ، أم الطابع السياسى البحت أم الطابع الدينى ، ثم أين تقـــع الصفوة المثقفة من مقولة الزعامة السياســية ؟ ٠

٦ ـ أكدنا فى اشاراتنا السابقة على أن الزعامة السياسية المتـكاملة لا تتحقق دون توفر ما يسمى بالرؤية أو الايديولوجيا ، سواء أكانت زعامة خارج السلطة أو داخلها ، فالى أى حـد كانت لزعاماتنا السياسية هـــذه الرؤية أو تلك الايديولوجيـــة ؟ ٠